الآجري

وسطية الإسلام



فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقا



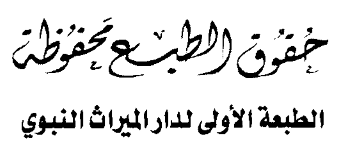


فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سابقاً

الميراث النبوي للنشر والتوزيع





الطبعة الأولى لدار الميراث النبوي

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

العلم ميراث النبي كذا أتى ... في النص والعلماء هم وراثه
ما خلّف المختار غير حديثه ... فينا فذاك متاعه وأثاثه

رقم الإيداع القانوني: 3 - 2010

ردمك: 2-62-944-9947-978

الميراث النبوي للنشر والتوزيع

برج الكيفان - الجزائر

الإدارة : جوال: 554250098 / 668885732 (00213) المبيعات : 550103691 (00213)

البريد الإلكتروني : Dar.mirath@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه

أما بعد: فإننا معشر السلفيين ندين الله بالتوسط والاعتدال في الأمور كلِّها في العقائد والعبادات والأخلاق والمناهج وقد حَارَبْنَا الغلو ولا نزال نحاربه بكل أشكاله في العقائد والعبادات والأشخاص، فمن الظلم والإفك أن نرمىٰ به من أناس لا ناقة لهم ولا جمل في حربه.

ونحارب الجفاء والتمييع بكل أشكاله في العقائد والعبادات والأخلاق والأشخاص والجماعات ولا نزال نحاربه. فمن الظلم والإفك أن نرمىٰ به أيضًا.

نقوم بكل ذلك -أي التوسط والاعتدال ومحاربة ما يناقضه- انطلاقا من كتاب الله تعالىٰ ومن سنَّة رسول الله ﷺ ومن منهج السَّلف الصالح إلىٰ ذلك ندعو دائمًا وعلىٰ ذلك نربِّي.

ومن نسب إلينا غير هذا المنهج فقد كذب وافترىٰ علينا إفكًا عظيمًا.

والميزانُ للتوسط أو الغلو والجفاء والتمييع: كتابُ الله تعالىٰ وسنَّة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح،لا أهل الأهواء ولا مناهجهم الفاسدة المرتبطة بالمصالح الدنيوية.

وإننا ابتلينا في هذه الأيام بمن يرمي السلفيين الصادقين بالغلو والتشدد في الجرح والتعديل وغيرهما ويحاربهم أشد الحرب ويسالم أهل البدع والأهواء ويكيل لهم المدح والثناء.وهو يجمع بين التمييع تجاه أهل البدع وبين الغلو المُهلك في حرب أهل السنَّة والحقِّ.

ونقول لهؤلاء: «حنانيكم» فأنتم ممن لا يعرف منهج السلف ولم تقر به عينه،ويحرص علىٰ حطام الدنيا وإرضاء أهلها ولا يبالي برضا الله وسخطه (!) ولا يبالي بمخالفة السلف وفهمهم (!).

وإنَّما رضاه وسخطه لما يهواه ولمن يهواه من أهل المال والدنيا (!)

وهذا شيء معروف ملموس مهما تستروا ومهما غالطوا ولمَّعوا أنفسهم بالعبارات الطنَّانة المُجَنِّحَة.

هذا وأوصي السلفيين الصادقين بالثبات علىٰ الحقِّ والصبر علىٰ أذىٰ أهل الأهواء. وأوصيهم بالدعوة إلىٰ الله تعالىٰ بالحكمة والموعظة الحسنة.

وتفصيل مواطن الغلو والتوسط في هذا الكتيب الذي مهدتُ له بهذه المقدمة المُوجزة.

أسأل الله أن ينفع به الإسلام والمسلمين

وصلَّىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم.

حررت هذه المقدمة بمكة المكرمة

في ٢٣ محرَّم لعام ١٤٣٠

من هجرة المصطفىٰ ﷺ

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أمّا بعد: فإنّ أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ثم أمّا بعد: فمرحبًا بكم أيّها الإخوة والأبناء الكرام المنتمين إلىٰ المنهج السلفيّ والذي أرجو أن نكون جميعا صادقين فيه ومخلصين لله فيه، والعنوان هو: (وسطيّة الإسلام)

من ميزات الإسلام

من ميزات الإسلام التي لا تُعَدُّ ولا تحصىٰ التوسط والاعتدال في كل شأن من الشؤون ومن مزاياه الرحمة والحكمة والصبر وسائر الأخلاق الكريمة التي بُعث محمدﷺ لإكمالها وهي موجودة في الرسالات جميعًا، قال ﷺ: « **إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ**»[1].

الإسلام فيه اعتدال وفيه توسط، في عقائده ومناهجه وشرائعه وأحكامه وما رسمه من أخلاق، وقد وعاه صحابة محمد ﷺ الذين حظوا بتلك التزكية وتلك التربية العظيمة التي امتنّ الله -تبارك وتعالىٰ- بها علىٰ هذه الأمّة ﴿هُوَ ٱلَّذِى

---

(1) البيهقي في السنن (١٠/ ١٩١) ومسند الشهاب (٢/ ١٩٢).

بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [الجمعة: ٢].

يدخل في هذه التزكية وفي حفظ الكتاب وفي هذه الحكمة التوسط والاعتدال ويتضمن ذلك نبذ الغلوّ ونبذ الجفاء، فالتوسط هو بين طرفين، طرف الغلو والإفراط وطرف التفريط والجفاء، وما من قضية يتأمّلها المسلم في عقائد الإسلام أو من قضايا العقائد والعبادات والأحكام إلاّ ويرىٰ العدل فيها والتوسط فيها، بعيدة عن الإفراط والتفريط، والله -تبارك وتعالىٰ- يقول في الإشادة بهذه الأمة ومنزلتها عند الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] هكذا زكّىٰ الله هذه الأمة واختارها وشهد لها بأنّها الوسط، والوسط الخيار والوسط الاعتدال وجعلها شاهدة علىٰ الأمم كلها، مقبولة الشهادة عند الله -تبارك وتعالىٰ- في الدنيا والآخرة وهذه لمن التزم بتعاليم الإسلام والتزم بهذه الوسطية، وتجد في المنحرفين عن هذه الوسطية من الغلو

والجفاء في نفس الوقت ما يخالف هذه الميزة التي امتازت بها هذه الشريعة المحمدية وامتازت بها الأمة التي التزمت هذه الشريعة.

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ الآية [الحج: ٧٨].

فالله اجتبىٰ هذه الأمة واختارها ونفىٰ عن دينها الحرج وهو الضيق والشدة التي تنشأ عن الغلو، فنفىٰ هذه الصفة الدنيئة، نفىٰ الحرج والضيق والشدة وربط هذه الأمة بأبيها إبراهيم إمام الحنفاء ﷺ وأبي الأنبياء -منّة من الله -تبارك وتعالىٰ- ومقتضىٰ هذا الاختيار وهذا الاجتباء أن نقوم بشرائع الله ﷻ ذات الاعتدال والسعة والسماحة والرحمة.

من مقتضيات هذه الشريعة التي أثنىٰ الله عليها ونفىٰ

الحرج فيها أن نقوم بها ومن أهمها الصلاة والزكاة والاعتصام بالله -تبارك وتعالىٰ- والرضىٰ به ربّا نتوكل عليه ونستنصر به فينصرنا ويحفظنا ويرعانا ولا يضيعنا ﷻ إذا نحن التزمنا هذا المنهج العظيم وما حواه من عقائد وشرائع.

كان الرسول ﷺ يربِّي أمّته علىٰ هذا الاعتدال ويبعدهم عن الشدة والشطط في كل شأن من الشؤون وخاصة في العبادات بل في المعاملات وغيرها.

نبذة عن التوسُّط

عن أَنَس بن مَالِكٍ ﵁ قال: «جاء ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إلىٰ بُيُوتِ أَزْوَاجِ النبي ﷺ يَسْأَلُونَ عن عِبَادَةِ النبي ﷺ فلما أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا: «وَأَيْنَ نَحْنُ من النبي ﷺ قد غُفِرَ الله له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ؟!» قال أَحَدُهُمْ: «أَمَّا أنا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا» وقال آخَرُ: «أنا أَصُومُ الدَّهْرَ ولا أُفْطِرُ» وقال آخَرُ: «أنا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا» فَجَاءَ رسول اللهِ ﷺ فقال: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا والله إني لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ

له لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[٦].

فاعتبر ﷺ الشدة خلاف سنته واعتبر عدم الاعتدال والتشدد رغبة عن سنته وتبرأ ممن يرغب عن سنته، فلينتبه الغلاة إلىٰ مثل هذه البراءة.

أما صحابة رسول الله ﷺ الذين علّمهم وأعطاهم هذا الدرس العظيم فقد استفادوا، وأمّا أهل الأهواء وأهل البدع فقد لا تنفعهم مثل هذه الدروس نسأل الله العافية.

وبلغ رسول الله ﷺ أنّ عبد الله بن عمرو بن العاص قال: لأقومنّ الليل ولأصومنّ النّهار، قال: «**أنت تقول هذا؟**» قال نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فقال ﷺ: «**صم من كل شهر ثلاثة أيام، قال إنّي أطيق أكثر من ذلك قال: صم يومًا**

(٦) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١) والنسائي (٣٢١٧) وأحمد (٦٤٤١).

وأفطر يومين، قال إنّي أطيق أكثر من ذلك قال: صم يومًا وأفطر يومًا وهذا أعدل الصيام»[1].

قال: أعدل وهذا في رواية يعني وسط وأفضل وهو صيام داود -عليه الصلاة والسلام-، لأنّه ليس فيه شدّة وكما علّمه رسول الله ﷺ وعلّم غيره فقال: « إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ»[2]، فالذين يتشدّدون في الأمور لا يُوَفُّون هذه المطالب حقّها، يضيّعون كثيرًا من الحقوق علىٰ أبنائهم وأُسَرِهم وعلىٰ أمّتهم بل قد يضيّعون كثيرا من حقوق الله ﷻ، فربّىٰ النبيّ ﷺ أمّته علىٰ الاعتدال والتوسط في كلّ شأن ومن أهمّها العبادات.

OOO

(١) أخرجه البخاري (١٩٧٦) ومسلم (١١٥٩) والنسائي (٢٣٩٠) وأبو داود (١٣٨٩).

(2) أخرجه الترمذي (٢٤١٣) وأبو داود (١٣٦٩) وأحمد (٥٧٧٦).

الغلو في الأشخاص
وهو قديم وجديد في الأمم

هذه نبذة عن التوسط، ونلفت النظر إلىٰ أنّ الغلوّ قديم في الأمم وقد يمتدّ إلىٰ يوم القيامة فأوّل غلوّ حصل في قوم نوح عليه السلام غلوا في قوم صالحين فقادهم الشيطان بهذه النزعة، نزعة الغلوّ إلىٰ أن ينصبوا لهم أنصابا أوثانًا فنصبوا لهم أنصابا، ولمّا هلك ذلك الجيل جاء جيل بعدهم أو أجيال فعبدوا هذه الأصنام، فجاء نوح عليه السلام يدعوهم إلىٰ الله -تبارك وتعالىٰ- وإلىٰ عبادته وحده، ويجتهد في صرفهم عن هذا الغلوّ وهذه العبادة الوثنية التي جرّهم إليها الغلوّ، دعاهم ألف سنة إلاّ خمسين عاما فأبوا واستكبروا وعاندوا، ويدخل ضمن غلوّهم، الغلوّ فيما كان عليه آباؤهم قالوا: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٤] وهم يقدّسون آباءهم وما ورثوه عن آبائهم، الغلوّ في التراث من أمجاد يزعمونها خلّفها لهم آباؤهم، ولو كانت في حضيض الأخلاق والعقائد يعتبرونها أمجادًا ويعتزّون بها ويكذّبون الرّسل ويقذفونهم بالتّهم، ما الّذي حملهم علىٰ هذا العناد الذي امتدّ إلىٰ قرابة

ألف سنة ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤] ما ذلك إلا لغلوّهم في تلك الأوثان والغلوّ فيما وجدوا عليه آباءهم من وثنيّة ومن ضلالات أخرىٰ.

وهكذا قوم هود وقوم صالح وسائر الأمم التي ضلّت وانحرفت بعث الله إليها الرسل لتحارب انحرافاتها وغلوّها في أوثانها وشخصياتها وغلوّها في تقاليد وعادات آبائها ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

غلوّ واعتزاز أهوج بما وجدوه من تراث عفن من تراث آبائهم من وثنية مهلكة وأخلاق مُرْدِيَة يواجهون بها الرسل ويتشبثون بها ويقولون وجدنا آباءنا علىٰ كذا وكذا وإنّا علىٰ آثارهم مقتدون وإنّا علىٰ آثارهم مهتدون ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٤].

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

فالتشبث بالعقائد الفاسدة والأخلاق الرّذيلة عادات قديمة تداولتها الأمم الهالكة وواجهت بها الرّسل -عليهم الصلاة والسلام- فأهلكهم الله -تبارك وتعالىٰ- بهذا الغلوّ وهذا الانحراف الناشئ عن الغلوّ في الأشخاص وفي العادات وفي العقائد وفيما وجدوا عليه آباءهم، أهلكهم الله -تبارك وتعالىٰ- وجعلهم عبرة للمعتبرين ولكن الغلاة لا يعتبرون في كلّ زمان ومكان مهما رأوا وسمعوا، مهما شاهدوا بأعينهم العقوبات التي تحيق بأولئك الغلاة، مثل الطوفان الذي أهلك الله به قوم نوح ومثل الرّيح التي دمّرت قوم هود ومثل الصّيحة التي أهلكت قوم صالح، وسائر أنواع المَثُلاَت التي حاقت بالأمم.

فترىٰ الغلاة الغارقين في هذا الغلوّ لا يستيقظون ولا ينتبهون ولا يعتبرون -والعياذ بالله- والذي يستعرض القرآن يجد ما لقي الرّسل فيه من أقوامهم الغلاة في الباطل والمتشبثون بالموروثات الفاسدة، وهكذا يجد في النّصارىٰ، في اليهود، في المجوس في الهندوك، وفي غيرهم غلوّا شنيعًا في أقذر الأشياء وأوسخها وأحطّها فتأريخ الوثنيات قذر

وسخ، حتىٰ تجد في حياة الهنود وعقائدهم عبادة القرود والخنازير والحيّات والفروج! وثنيّة منحطّة إلىٰ أبعد الحدود، يتعصّبون لها ويحاربون من أجلها الإسلام، فيسفكون الدماء وينتهكون الأعراض ويدمّرون الأُسَر والبيوت والأموال من أجل هذه الوثنيّة المنحطّة، ما الذي دفعهم إليها؟ دفعهم إليها الغلوّ الأهوج - والعياذ بالله - وقل مثل ذلك في اليهود والنّصارىٰ.

صور من الغلو

علىٰ كل حالّ هذه لمحة عن الغلّو في الماضي وفي الأمم التي تحيط بهذه الأمّة، اليهود غلوا في عزير وقالوا إنّه ابن الله وأصيبوا بداء الجفاء فقتلوا الأنبياء وقتلوا الذين يأمرون النّاس بالقسط وهذا من الجفاء وكذّبوا عيسىٰ عليه السلام وكذّبوا محمدا ﷺ وما جاء به، وهم يعرفون أنّه رسول الله حقّا - عليه الصلاة والسلام -، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ومع ذلك دعاهم الجفاء والغلوّ في آن واحد إلىٰ تكذيب الرسول ومحاربته وجحود الحقّ الذي يعلمونه قال تعالىٰ عنهم

﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾ [البقرة: ١٤٦].

والنصارىٰ كذلك غلوا في عيسىٰ وعبدوه وقالوا إنّه ابن الله وثالث ثلاثة وقالوا فيه هو الله، وبيّن الله -تبارك وتعالىٰ- أنّ عيسىٰ عبد من عباد الله وأنّه رسول وأمّه صدّيقة كانا يأكلان الطعام، بيّنه الإسلام غاية البيان، والعقول تدرك هذا وتدرك ما وقع فيه النصارىٰ من السّخف والضلال، ولهذا سمّاهم الله تبارك تعالىٰ الضّالين، وعلّمنا الاستعاذة من هذه الصفة، صفة الضلال في كلّ صلاة نصليها ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧] المغضوب عليهم هم اليهود لأنّهم يعلمون الحقّ ويجحدونه ويعاندون فيه و(الضّالين) النّصارىٰ.

والدّافع لهذا الضلال هو الغلوّ الموجب لغضب الله تعالىٰ ولعناته هو الغلوّ والجفاء فالغلوّ والجفاء من الصفات الذميمة، والاعتدال هو الصفة المحمودة عند الله ﷻ وهو من صفات هذه الشّريعة التي جاء بها محمد ﷺ.

وقوع الغلو في هذه الأمة

ولقد حصل هذا الغلوّ في هذه الأمّة رغم أنّ القرآن حذّر من ذلك والسنّة حذّر فيها رسول الله ﷺ من الغلوّ، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: ١٧١].

وهذا نداء لأهل الكتاب وهو يتناول المسلمين، فإذا كان ينهىٰ أهل الكتاب عن الغلوّ فهذه الأمّة من باب أولىٰ ﴿وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ لأنّ الغلوّ ضدّ الحقّ والمؤمن المعتدل يقول الحقّ فلا يغلوا ولا يجفو.

تحذير رسول الله ﷺ من الغلو

وقال ﷺ: «... وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُ فِيْ الدِّينِ»(١) فحذّر الرّسول ﷺ من الغلو أشدّ التّحذير، حتّىٰ إنّه في حَجَّة الوداع في رجوعه من عرفات إلىٰ مزدلفة طلب من الفضل أن يناوله حصيات ليرمي بها الجمرة،قال:

---

(١) أخرجه النسائي (٣٠٥٧) وابن ماجه (٣٠٢٩) وأحمد (١٨٥٤).

فالتُقِطتُ له الحصيات فرفع واحدة منها وقال: « **بِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**» حتّىٰ الحصاة هذه لابدّ أن تعتدل فيها وتتبع فيها محمدًا ﷺ فلا تتقدّم بين يديه في شيء فتزيد أو تنقص، النقص جفاء والزيادة غلوّ.

الاعتدال ودين الله الحق

القرآن يربّي علىٰ الاعتدال والسنة كذلك وسيرة الرسول ﷺ تربّي علىٰ ذلك وكذا سيرة السلف الصالح، ولكنّه دبّ إلىٰ الفِرَق الضّالة داء الأمم الهالكة ووقع في مراتع الغلوّ، أناس مفرّطون وأناس مُفْرِطون.

والمنهج السّلفي من بين المناهج الموجودة هو المنهج الوسط المعتدل لمن فقهه حقّ الفقه، لا للأدعياء فمن فقه هذا المنهج من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ومن سيرته ومن سيرة السّلف الصالح يعرف أنّ المنهج السلفي هو دين الله الحقّ القائم علىٰ الاعتدال والقائم علىٰ الصراط المستقيم والقائد إلىٰ الحقّ في عقيدته ومنهجه وتربيته ودعوته، بينما

تجد في المناهج الأخرىٰ التّأرجح بين الإفراط والتّفريط، المنهج السّلفي وسط في هذه الفِرَق كوسطية الإسلام بين الأديان والملل السّابقة.

فأهل السنّة والجماعة في عقيدتهم وسط في عدد من المناهج، فهم وسط بين الجهميّة المعطلة والمشبهة المنحرفة، المعطلة غلوا في التّنزيه فأدّاهم هذا الغلوّ إلىٰ تعطيل صفات الله ﷻ، والمشبّهة غلوا في الإثبات فأدّاهم هذا الغلو إلىٰ أن يشبهوا الله تعالىٰ بخلقه في أسمائه وصفاته فتعالىٰ الله عمّا يقول الظّالمون علوًّا كبيرًا.

توسُّط أهل السنَّة في الصفات

وتَوَسَّطَ أهلُ السنة والجماعة في هذا الباب بين المعطلة والمشبهة فأثبتوا صفات الله تعالىٰ صفات جلاله ونعوت كماله، أثبتوها من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل توسّطوا بين الطّائفتين المنحرفتين، إثبات بلا تعطيل، ننزه الله تعالىٰ عن المشابهة وننزهه -تبارك وتعالىٰ- عن التّعطيل فلا نشابه المعطلة فنغلو في التنزيه حتّىٰ يُخرِج

هذا الغلوّ من وقع فيه إلىٰ التّعطيل،ولا نشارك المشبهة في الغلوّ في الإثبات حتّىٰ لا يخرجنا ذلك إلىٰ التّشبيه.

وهم وسط في باب **الأفعال** بين الجبرية والقدريّة، الجبريّة ترىٰ أنّ العباد مسلوبيّ الإرادة والقدرة وحركاتهم اضطراريّة كحركة أوراق الشجر تحركها الرّياح، وكحركة الجمادات المسخّرة لا اختيار لهم ولا قدرة ولا إرادة -والعياذ بالله-.

والقدريّة يرون أنّ العبد مستقّل بمشيئته وإرادته يفعل ما يشاء ولا ارتباط بين إرادته وفعله ومشيئته وبين مشيئة الله وإرادته وتقديره للأشياء، وهدىٰ الله أهل السنّة فتوسّطوا بين هاتين الطّائفتين، أثبتوا للعبد أفعالا وقدرة وإرادة واختيارا لكنّها تابعة لمشيئة الله -تبارك وتعالىٰ-، فالعبد عنده عقل وكلّفه الله -تبارك وتعالىٰ- لوجود هذا العقل ومنحه القدرة والاختيار، وأعطاه التّمييز بين الحقّ والضلال والحقّ والباطل وأعطاه قدرة واختيارا وإرادة وكلّ ذلك مربوط بمشيئة الله تعالىٰ، والعبد فعّال، هو المصلّي، هو المزكّي، هو الصّائم، وهو الزّاني، وهو السّارق، وهو...الخ.

هذه أفعاله فعلها باختياره وإرادته وقدرته ومع ذلك هي مربوطة بمشيئة الله ﷻ فالله خالق للعبد وأفعاله والعبد فاعل فعلًا حقيقيًّا يُنسَب إليه، أتاه بقدرته وإرادته واختياره وليس مجبورا علىٰ ذلك كما تقول الجبريّة .

وهم وسط في باب الوعد والوعيد بين المرجئة وبين الخوارج والمعتزلة، فالخوارج والمعتزلة يتعلقون بنصوص الوعيد، والمرجئة يتعلّقون بنصوص الوعد، وأهل السنّة وسط بين الطّائفتين، يؤمنون بنصوص الوعيد وأنّها تلحق بمشيئة الله العصاة، فالزّاني والسّارق والقاتل معرّض للوعيد إلاَّ أن يرحمه، وعند المرجئة تعلّقٌ بنصوص الوعد وإهمال لنصوص الوعيد فأهل الذنوب عندهم مؤمنون كاملو الإيمان، لا تُنقِص المعاصي من إيمانهم شيئًا وغلاتهم يرون أنّه لا يضرّ مع الإيمان ذنب، فإذا لقي الله موحِّدًا غير مشرك فلا عقوبة عليه ولا تنطبق عليه نصوص الوعيد وهو مؤمن كامل الإيمان ولو كان من أفجر النّاس وأفسقهم إيمانه مثل إيمان جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام، اشتطّوا وغلوا

في التّعلق بنصوص الوعد واشتطّ الخوارج في التعلق بنصوص الوعيد، فكفّروا العصاة وحكموا عليهم بالخلود في النّار، وغلاة المرجئة قالوا بنجاة الموحدّين ولا عقاب عليه ولا عذاب وهم مؤمنون كاملو الإيمان.

وأهل السنّة توسّطوا فقالوا: إنّ الذنوب لا تخرج بأصحابها من الإيمان إلىٰ الكفر كما يقول الخوارج وكما يقول المعتزلة يخرج من دائرة الإيمان إلىٰ منزلة بين المنزلتين ثمّ يلتقي الخوارج والمعتزلة في الحكم علىٰ المصرّين علىٰ الكبائر، الذين ماتوا مصرّين علىٰ الكبائر أنّهم خالدون مخلّدون في النّار.

وقال أهل السنّة: إنّ هؤلاء الذين ماتوا وهم مصرين علىٰ المعاصي هم فسّاق وناقصو الإيمان، نقول مؤمن ناقص الإيمان ونقول مؤمن فاسق، ولا نقول كافر ونقول إنّه معرّض للعقوبة إن لم تتداركه رحمة الله ﷻ لأنّ من مات وهو غير مشرك فهو تحت مشيئة الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

إلىٰ نصوص أخرىٰ وأحاديث تبيّن أنّ العصاة يخرجون من النّار، يعذّبون، يعذِّب الله من شاء منهم ثمّ يخرجهم الله بشفاعة الشفعاء، شفاعة محمد ﷺ وشفاعة غيره من الأنبياء والمرسلين وشفاعة الملائكة وشفاعة المؤمنين، ثمّ يبقىٰ منهم من يخرجه الله -تبارك وتعالىٰ- بفضل رحمته ﷻ.

غلو الخوارج

من الغلوّ الذي ابْتُلِيَ به المسلمون غلوّ الخوارج، الذي بدأ من عهد رسول الله ﷺ بدأبه ذو الخويصرة الذي انطلق -والله أعلم- من فكرة المساواة التي يدندن بها الديمقراطيّون، الرسول ﷺ في غزوة حنين قسّم الغنائم وفضّل بعض الزعماء لمصلحة عظيمة، فضّلهم في العطاء، أعطىٰ لهذا مائة من الإبل وأعطىٰ لهذا مائة من الإبل و... و.... ولم يعط الآخرين مثلهم لمصلحة الإسلام، لأنّه لمّا يعطي هذا الزعيم يطمئن إلىٰ الإسلام فيؤمن ويستقر علىٰ الإسلام فتتبعه عشيرته وقبيلته، الرّسول بعيد النّظر، وهو أعدل النّاس -عليه الصلاة والسلام-.

قسّم هذه القسمة وفضّل فيها فقال ذو الخويصرة: والله هذه قسمة ما أريد بها وجه الله أو ما عُدل فيها، فغضب رسول الله ﷺ وقال: « وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَم أَعْدِلْ قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ» واستأذنه عمر في قتله، فقال: -عليه الصلاة والسلام-: « دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ»[1].

غلوّهم في الدّين وغلوّهم في طلب المساواة أوقعهم في هذا الهلاك الذي أهلكوا به أنفسهم وأهلكوا به الأمّة وخرج من ضئضئه قوم كما وصفهم رسول الله ﷺ أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، وقاتلوا عليّا والصحابة، لا حكم إلاّ لله، غلوا في الحاكمية وجهلوا معنىٰ الحاكمية وخرجوا علىٰ عليّ رضي الله عنه، وأرسل عبد الله بن عباس يناظرهم فناظرهم، فرجع منهم الكثير والباقون ثبتوا علىٰ غلوّهم في الدّين وفي الحاكمية التي جهلوها فسفكوا الدّماء فاضطرّ عليّ إلىٰ قتالهم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٠) وأحمد (١١١٤٣).

فاستأصل شأفتهم وبقي منهم من بقي وتوارثوا هذا الغلوّ إلىٰ يومنا هذا، غلوٌّ في السياسة، غلوٌّ في الحاكمية وإهمالٌ للعقيدة وإهمال للمنهج وإهمال لجوانب عظيمة، فانتبهوا لهذا.

من آثار الغلاة

ومن آثار وبقايا هؤلاء الغلاة ما يعيشه المسلمون الآن من خراب ودمار في مشارق الأرض ومغاربها، ومنابع هذا الغلوّ في التّكفير والتدمير والتّفجير، من أهمّ منابعه التي يغالط أتباعه فيها هذه الأمّة ويبحثون عن أسباب بعيدة كلّ البعد عن منابع الفساد الحقيقية وهي التراث القطبي الذي ورّثه سيِّد قطب في كتابه «الظلال» المشحون بالتّكفير تكفير الأمّة، والمشحون بضلالات خطيرة جدًّا كالحلول ووحدة الوجود وتعطيل الصفات وما شاكل ذلك، وفي كتابه «المعالم» المشحون بالتّكفير وشحن الشباب، هذا الغلوّ أهلك الأمّة في الجزائر وفي أفغانستان وفي البلاد العربيّة والإسلاميّة وتعاني الأمّة الآن منهم من الهلاك ما لا يعلمه إلاّ الله ﷻ، فعلىٰ الأمّة أن تعرف هذه المنابع لهذا الدّاء العضال، ألا وهي كتب

سيّد قطب والكتب التي تفرّعت عنها مثل كتب صلاح الصّاوي وكتب أبو بصير وحركات أبي حمزة وأسامة بن لادن وأمثالهم، هؤلاء المخربون الخوارج إنّما تربّوا علىٰ كتب سيّد قطب ولا تنسوا أيمن الظواهري وجماعة الجهاد والتكفير، هؤلاء أوقعهم في هذا البلاء كتب سيّد قطب المشحونة بالغلوّ في التّكفير، فهو يكفِّر حتىٰ بالجزئية، لو أطاع إنسان غيره في جزئية فقد ارتّد عن الإسلام، وهذا والله أشدّ من تكفير الخوارج الأوّلين، ويتربون علىٰ هذه الكتب وصاحبها إمام مقدّس ولو طعن في الأنبياء ولو طعن في الصحابة الكرام ولو دمّر أصول الإسلام وعقائده، حلول ووحدة وجود، تعطيل الصفات، هذه لا تضر ولا تنال من قداسة هذا الرجل شيئًا ولا تحطّ من كرامة هذه الكتب مع الأسف الشديد، ما الذي جعل كثيرًا من النّاس ينزلون سيّد قطب هذه المنزلة وهو في حضيض الضلال وينزلون كتبه هذه المنزلة وهي من كتب الضلال والدمار، ما الذي جعل كثيرًا من شباب الأمّة يقعون في هذه المهالك ويوقعون فيها الأمّة؟

ما منشأ ذلك إلاّ الغلوّ المناهض لمنهج محمد ﷺ وشريعته، المناهض لعقائد القرآن وأحكامه وعقائد السنّة وأحكامها وعقائد الصحابة والسلف الصالح، ومع الأسف الشديد هذا الصنف من النّاس يرىٰ نفسه أنّه هو المسلم ولهذا ترىٰ في مواقعهم [أنا المسلم] وتسمع من كلماتهم: إلىٰ الجحيم خالدًا فيها مخلدًا يابن عثيمين، وترىٰ فيها التّكفير وترىٰ فيها الطعن للمعتدلين الثابتين علىٰ منهج الإسلام، منهج الرّسول ﷺ ومنهج القرآن الكريم، فعلىٰ شباب الأمّة في مشارق الأرض ومغاربها أن يتّجه إلىٰ كتاب الله وسنّة نبيّه ﷺ اللذان تربّىٰ عليهما خير أمّة أخرجت للنّاس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله وأسعدَ الله بهم أمما فأنقذ الله بهم وبما جاءوا به أمما من الضلال والكفر والشّرك وأنقذهم الله بهذه الرّسالة أمما وشعوبا من النّار، وقد كانوا علىٰ شفا حفرة من النّار فأنقذهم منها -تبارك وتعالىٰ- بما جاء به محمد ﷺ وبما نشره صحابته الكرام من تعاليم وعقائد وأخلاق منبثقة من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ فتبوءوا القمم

العالية من العزّة والكرامة، لأنّهم أمّة وسط ولأنّهم خير أمّة أخرجت للنّاس، وترىٰ ما يلحق النّاس من الغلوّ إلاّ الهلاك والدّمار فهذه النّوعيات الغالية لا يزيدون الأمّة إلاّ هلاكا ودمارًا وخزيًا وعارًا.

الإخوان المسلمون إلى أين؟

منذ نشأ الإخوان المسلمون وهم يقولون جهاد، جهاد، الدولة الإسلامية، الخلافة الإسلامية، والمسلمون في انحطاط علىٰ أيديهم وفي تقهقر إلىٰ الوراء والوراء علىٰ أيديهم، مع الأسف الشّديد وهم يزعمون أنّهم دعاة الإسلام والمجاهدون باسم الإسلام ومع الأسف الشّديد لا يزيدون الأمّة إلاّ هلاكًا، ويقدِّمون شباب الأمّة هدايا علىٰ أطباق من الذهب -كما يقال- للأمريكان وللرّوس يذبحونهم كما يذبحون الفراريج والدّجاج، يقدّمونهم هكذا لا عدّة من عقيدة ولا عدّة من مادّة وسلاح.

الله -تبارك وتعالىٰ- شرع الجهاد في هذه الأمّة إذا كانت أمّة حقّا مؤهلة للجهاد بعقيدتها وبرجالها وبأخلاقها وبعدّتها

المادية والعسكرية فهؤلاء لا عقيدة صحيحة ولا منهج صحيح ولا عدّة مادية! ويقولون: «الجهاد، الجهاد» أهلكوا الأمّة وهم والله يتمتّعون ويتلذذون بالمناصب وبالأموال والمآكل والمشارب ويذهب ضحيّة هذه الشعارات الفاسدة وهذا الصراخ المفتعل، يذهب ضحايا كثيرة من أبناء المسلمين بهذه الشعارات والنّداءات الفارغة، فعلىٰ الأمّة أن ترجع إلىٰ كتاب ربّها وسنّة نبيّها لتكون أمّة وسطًا كما أخبر الله وكما وصف الله -تبارك وتعالىٰ-، ولتكون خير أمّة أخرجت للنّاس وبهذه العودة وباستعادة هذه المكانة عند الله ﷻ تعود العزّة والكرامة للأمّة ووالله لن تنفع هذه الشعارات هذه الأمّة أبدا بل ما تزيدها إلاّ انحطاطًا ودمارًا وذلًّا وهوانًا.

ألا فليدرك المسلمون مصدر عزّهم ومصدر هلاكهم فيجتنبوا مصادر الهلاك ومنها هذا الغلوّ وكثير من هذا الغلوّ مفتعل والله أعلم ومصطنع، وتعرف مصدر عزّها فتهرع إليه وتعظّ عليه بالنّواجذ وتربّي أنفسها وأجيالها عليه ليحقق الله لهم ما حقّقه لأسلافهم الكرام.

أسأل الله أن يهيئ لهذه الأمّة دعاة صادقين مخلصين

يعودون بهم إلىٰ مصدر عزّتهم وكرامتهم وسعادتهم،كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ الذي فيه كلّ الكمال ومنه التّوسط والاعتدال. أسأل الله أن يحقق ذلك.

و صلّىٰ الله علىٰ نبيّنا محمد و علىٰ آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(كلمة مفرَّغة)

ألقاها شيخنا العلاَّمة

ربيع بن هادي المدخلي

-حفظه الله-

بتاريخ ٢٦/ محرَّم/ ١٤٢٦ هـ

قام بتفريغ مادَّة هذا الشريط

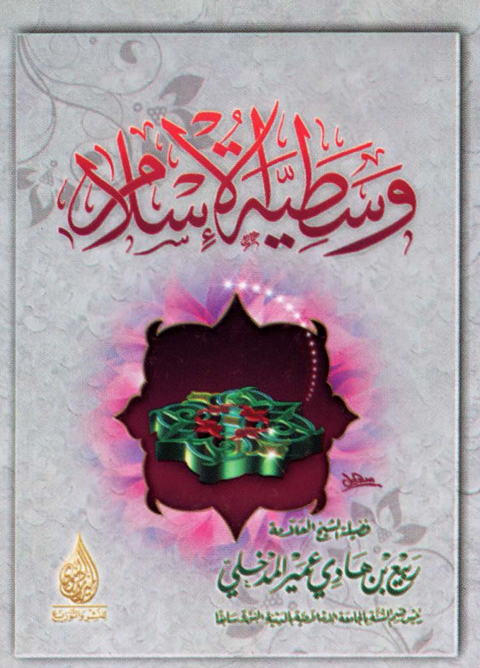
وعرضه علىٰ الشيخ ربيع السنَّة مراجعًا له

يوم ١٤/ ٤/ ١٤٢٦هـ:

فواز الجزائري - غفر الله له -

الفهرس

○○○







برج الكيفان - الجزائر
الإدارة : جوال: 554250098 / 668885732 (00213) المبيعات : 550103691 (00213)
البريد الإلكتروني : Dar.mirath@gmail.com